في التنوير الإسلامي

«٥٣»

مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية

تأليف

د. محمد عمارة

نهضة مصر

في التنوير الإسلامي ٥٣

مستقبلنا بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية

تأليف
د. محمد عمارة

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

اسم الكتاب	مستقبلنا بين العالمية الإسلامية.. والعولمة الغربية
اسم المؤلف	د. محمد عمارة
اشراف عام	داليا محمد ابراهيم
تاريخ النشر	يناير ٢٠٠١
رقم الإيداع	٩٢٨٥ / ٢٠٠٠ م.
الترقيم الدولي	I.S.B.N 977-14-1319-8
الناشر	دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
المركز الرئيسي	٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة، مدينة السادس من أكتوبر. ت: ٣٣٠٣٨٧ / ٠١١، (١٠ خطوط) فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦.
مركز التوزيع	١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥/٢. فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥/٢ - ص.ب: ٩٦ الفجالة.
إدارة النشر	٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٣٨٦٤/٢. فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦/٢ - ص.ب: ٣٠ امبابة.

تحرير مضامين المصطلحات

منذ صك الإعلام الغربي مصطلح «العولمة» وأحله محل مصطلح «النظام العالمي الجديد» - عقب انهيار الاتحاد السوفيتي، والمنظومة الشيوعية سنة ١٩٩١م - وهناك خلط - في دوائرنا الفكرية والإعلامية - بين مصطلح «**العولمة**» ومصطلح «**العالمية**» . . وهو خلط يزيف المضامين، ويخلط الأوراق التي لا يجوز فيها الاختلاط . . بل ويحول دون الحوار الجاد حول مفاهيم ومقاصد القضايا التي تعبر عنها هذه المصطلحات . . الأمر الذي يستوجب البدء بتحرير وتحديد مضامين مصطلحي «العالمية» و «العولمة» على وجه الخصوص . . .

مفهوم العالمية:

فالعالمية نزعة إنسانية وتوجه نحو التفاعل بين الحضارات، والتلاقح بين الثقافات، والمقارنة بين الأنساق الفكرية، والتعاون والتساند والتكامل والتعارف بين الأمم والشعوب والدول، ترى العالم «منتدى حضارات»، بينها مساحات كبيرة من «المشترك الإنساني العام» ولكل منها «هوية ثقافية تتميز بها»، ومصالح وطنية وقومية وحضارية واقتصادية وأمنية لابد من مراعاتها، في إطار «**توازن المصالح**»، وليس «**توازن القوى**» بين هذه الأمم والحضارات . .

وإذا كانت عين الفاحص لاتخطئ التمايز الحضارى ، في هذا المنتدى العالمى ، عندما ترى الخصوصيات الحضارية لكل من الصين والهند واليابان والغرب والإسلام - وغيرها من الحضارات- فإن عقل الباحث لا يخطئ أيضا تمييز بعض هذه الحضارات «بالمحلية» - مثل الهند والصين واليابان- بينما تميزت وتتميز كل من الحضارات الإسلامية والحضارة الغربية بصلاحية التمدد العالمى ، وإمكانات العطاء خارج الحدود الجغرافية التاريخية لشعوب هاتين الحضارتين . . تميزت بذلك النزوع العالمى الحضارة الأوربية الغربية ، منذ طورها الإغريقى - الرومانى . . وتميزت به الحضارة الإسلامية منذ أن خرجت من بين دفتى القرآن الكريم . .

فمن القرآن الكريم وثقت مقومات الأمة الإسلامية الواحدة ، وخرجت الصبغة الإسلامية لحضارة هذه الأمة ، وجاءت عالميتها كثمرة من ثمرات عالمية الرسالة الإسلامية والشريعة الإسلامية ، التى شاء الله ، سبحانه وتعالى ، أن يختم بها شرائع السماء إلى الإنسان . . ولهذه الحكمة جاء الحديث القرآنى عن هذه العالمية منذ العهد المكى للرسالة والدعوة ﴿ وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ - يوسف: ١٠٤ - ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ الأنبياء: ١٠٧ - ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ﴾ - الفرقان: ١ - . . فكانت هذه الأمة الإسلامية وحضارتها دائمة التحقق حيثما امتدت تعاليم الإسلام وقيمه وثقافته ، على امتداد الزمان والمكان . .

لكن هذه العالمية الإسلامية لاتعنى - فى الرؤية الإسلامية - انفراد الحضارة الإسلامية بالعالم ، وإلغاءها للآخر الحضارى . . بل إنها تعنى التفاعل والتدافع والتسابق مع الآخر ، فى ظل التأكيد على أن التعددية الحضارية والتنوع الثقافى والاختلاف فى الشعوب والأمم والقبائل.. وفى الألوان والأجناس والأعراق.. وفى الألسنة واللغات ومن ثم القوميات وفى الشرائع والملل الدينية.. وفى المناهج والمذاهب والثقافات والحضارات.. أن كل هذا التنوع والاختلاف هو القاعدة الطبيعية، والقانون التكوينى، والسنة الإلهية التى لا تبديل لها ولا تحويل . . ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ -الحجرات : ١٣ - ﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ -الروم: ٢٢- ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين (١١٨) إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾- هود: ١١٨، ١١٩- ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴾- المائدة: ٤٨ - ..

فالناس سعيهم شتى ﴿ إن سعيكم لشتى ﴾ الليل: ٤ ﴿ ولكل

وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ﴾-البقرة: ١٤٨-.. و«التدافع» والحراك والتسابق هو سبيل رأب الصدع وتعديل الخلل وإعادة الميزان - الوسط.. العدل- إلى العلاقات بين الطبقات أو الأمم أو الحضارات ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ - فصلت: ٣٤ - .. وليس «الصراع»، الذى يصرع فيه وبه طرف الأطراف الأخرى، فينفرد هذا الطرف بالساحة والثمرات والامتيازات، منهيا التعدد والتنوع والاختلاف.. ﴿ صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية (٧) فهل ترى لهم من باقية ﴾-الحاقة: ٧، ٨ ..

ذلك هو المفهوم الإسلامى للعالمية: **نزوع عالمى، يرى التعدد والتنوع والاختلاف القاعدة والقانون، ويؤمن أن التفاعل هو الوسط العدل بين العزلة، وبين التبعية، فتصبح الصورة الحضارية للعالم هى صورة «منتدى الحضارات»..**

ولقد تميز هذا المفهوم الإسلامى للعالمية عن المفهوم الغربى للعالمية، ليس فقط فى حقبتنا الراهنة - حقبة العولمة- وإنما منذ فجر الحضارة الأوربية الغربية.. «فالنزعة المركزية» لصيقة بالنموذج الحضارى الغربى، منذ العصر الرومانى، الذى رأى أصحابه أن الإنسان هو الرومانى الحر وحده، ومن عداه برابرة، وأن مايتدين به الرومان هو الدين الوحيد، وما عداه واجب الاستئصال.. ولقد طبقوا هذه النزعة الواحدية المركزية فى عصر

وتنبيتهم بإبادة النصارى ، بعد تشريد اليهود ، وفى عهد نصرانيتهم باضطهاد المذاهب النصرانية المخالفة لمذهبهم الملكانى . . وامتد ذلك فيما عرف «بالحروب الدينية» بين مذاهب النصرانية - الكاثوليكية والبروتستانتية- التى امتدت منذ منتصف القرن السادس عشر وحتى العقود الأخيرة من القرن السابع عشر [١٥٦٢ - ١٦٨٨م] ، أى حتى عصر «التنوير» ، والتى أبيد فيها نحو عشرة ملايين ، أى ٤٠٪ من سكان وسط أوربا[١] !!

ثم واصلت هذه «النزعة المركزية» الغربية صراعها مع الآخر طوال عصر استعمار الغرب للأمم والبلاد والحضارات غير الغربية ، وتم هذا الصراع والاستئصال على مختلف الصعد والميادين والجبهات- على الجبهة الفكرية ، بإبادة البنى التحتية للموارث الفكرية لحضارات الشعوب المستعمرة- وعلى الجبهة القيمية ، باختراق منظومة القيم الخاصة بالشعوب المستعمرة[٢]- وعلى الجبهة الثقافية بتغريب المستعمرات- وعلى الجبهة اللغوية ، بفرنسة أو جلنزة ألسنة الشعوب المستعمرة- وعلى الجبهة الدينية ، بتنصير العالم بالنصرانية الغربية- وعلى الجبهة الاقتصادية ، بالنهب الاقتصادى الاستعمارى ، الذى بنى رفاهية الغرب بالفائض الذى تحقق من إفقار الأمم والشعوب المستعمرة- وعلى الجبهة الأمنية ، بتحويل العالم إلى هامش للأمن الأوربى

(١) هاشم صالح «التنوير الأوربى ردة فعل للاقتتال المذهبى» صحيفة (الشرق الأوسط) -لندن- فى ٢٦-٣- سنة ٢٠٠١ م .

(٢) الجبرتى [مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس] ص ٣١٠ ، ٣١١ تحقيق : حسن محمد جوهر ، عمر الدسوقى . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩م .

والغربى ، وتسخير الشعوب المستعمرة وإمكاناتها وقوداً فى الحروب الاستعمارية ، كما كان الرومان والفرس يصنعون - قديماً - مع الغساسنة والمناذرة ، فى النظام العالمى القديم ! . .

ذلك هو المفهوم الغربى «العالمية» حضارته الأوربية . . مفهوم الواحدية الحضارية ، الذى يرى أن الحضارة الغربية هى وحدها العالمية والإنسانية - بل هى وحدها «الحضارة» ! - التى يجب أن تكون النموذج الوحيد للتحضر والتقدم . . والقالب الأوحد الذى يجب أن يصب فيه العالم جميعاً . .

بل لقد رأى الغرب - ولا يزال يرى - أن الصراع والصدام هو الخيار الرئيسى فى تحقيق هذه الواحدية الحضارية . . وذلك بسبب «الصبغة الصراعية» التى تماهت فى بنية تكوين الحضارة الغربية ، والتى أفصحت عنها - ثم برزت لها - النظريات الرئيسية التى صبغت فلسفة الأنوار الوضعية الأوربية وفكر الحداثة الغربية وثقافتها . .

● ففلسفة القوة والصراع والنفعية المتحللة من الأخلاق ، هى جوهر فلسفة السياسة الميكيافيلية- كما صاغها ميكيا فيلى [١٤٦٩ - ١٥٢٧م] فى كتاب [الأمير]- . .

● وفلسفة التاريخ عند هيجل [١٧٧٠ - ١٨٣١م] تقيم علاقات العصور على الصراع ، الذى ينسخ فيه الجديد القديم . .

● والداروينية - كما صاغها داروين [١٨٠٩ - ١٨٨٢م] فى [أصل الأنواع]- تجعل الصراع هو قانون التقدم والتطور فى عالم الأحياء ، فالبقاء للأصلح ، والأقوى هو الأصلح للبقاء . . ونسخه للآخرين- الضعفاء - هو القانون ! . .

● وكذلك الحال فى الفكر الاجتماعى ، والعلاقات بين الطبقات - عند ماركس [١٨١٧ - ١٨٨٣م] وغيره - وهو تطبيق للفلسفة الصراعية الداروينية والهيجلية فى الاجتماع - . . فالجديد يستأصل القديم ، والطبقة الجنينية يتم نموها على حساب فناء الطبقة السائدة . . و «العبودية» قد نسخت المشاعية البدائية . . ثم جاء الإقطاع فنسخ العبودية . . ثم جاءت الرأسمالية فنسخت الإقطاع . . ولقد بشرت الماركسية بنسخ الشيوعية وديكتاتورية البروليتاريا لليبرالية الرأسمالية . .

وكأنما شعار هذه «الفلسفة الصراعية» - التى صبغت الحضارة الغربية - هو : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ - الأعراف : ٣٨ - . . وأبادتها ! . .

● وهذه النزعة المركزية الاستئصالية ، هى التى جعلت حتى مفهوم «الإنسان» - فى الحضارة الغربية - هو الإنسان الغربى وحده ! . . ثم جعلت هذا الإنسان الغربى - فى عصر الاستعمار - يمارس استئصال الآخر - الحضارى والثقافى - براحة عجيبة للضمير ، هى أشبه ما تكون بموت الضمير : لأنه يمارس ذلك الاستئصال «كرسالة» ، وكإعمال للقانون العلمى والطبيعى - الذى يحكم عالم الأحياء والاجتماع - فى عالم الحضارات والثقافات . . فاستئصال الشعوب - بالاستعمار الاستيطانى - فى أفريقيا وفلسطين - هو تمدن وتحضر لهذه البلاد ! . . وتنصير المسلمين هو تحقيق «الخلاص» لأرواح هؤلاء الكفار المحرومين ! . . وإزالة المواريث الحضارية للشعوب غير الأوربية ، هو تحرير لها من التخلف والرجعية والبدائية والجمود ! . .

ومفهوم العولمة

وإذا كان هذا هو مفهوم «العلمنة» في الرؤية الإسلامية، وفي رؤيته لعلاقته فما هو الجديد في المفاهيمي الذي تطرحه مصطلح «العولمة»، الذي طرح على ساحة الفكر منذ سنوات؟

إن الجديد في هذا «العولمة» بالنسبة إلى العلمنة بالنسبة هو الجديد في الدرجة وليس في النوع. فنحن ما زلنا في مرحلة الرأسمالية بالنسبة وما زلنا في مرحلة الإمبريالية بالنسبة. وما زلنا في مرحلة الهيمنة الأمريكية والشاهد الجديد الجديد بالنسبة هو التطورات التي وقعت في أوروبا الشرقية وما ترتب عليها من تفكك الاتحاد السوفيتي وانهيار المعسكر الشرقي بالإضافة إلى انهيار الغرب

ما زال الغرب في حالة نمو وتوسع لقد مر بعدة مراحل منذ عصر النهضة مرحلة الكشوف الجغرافية ومرحلة الثورة الصناعية ثم جاءت مرحلة الحروب الاستعمارية ثم شهدت العقود الأولى للقرن العشرين قيام الاتحاد السوفيتي كأول تجربة اشتراكية في العالم وكان ذلك بمثابة تحد للرأسمالية في قلب أوروبا حيث نشأت الاشتراكية والشيوعية

«الفرصة التاريخية» تمت حركات التحرر الوطني في البلاد المستعمرة، واستفادت الدول التي حققت استقلالها السياسي عقب حرب الاستعمارية العالمية الثانية من هامش الحرية الذي أتاحه لها الصراع الداخلي بين شقي الحضارة الغربية، فحققت بعد الاستقلال السياسي مقادير متفاوتة من التنمية الثقافية والاقتصادية والعسكرية.

صحيح أن التغريب كان تيارا ضاغطا على حركات هذه الدول والشعوب، لكن التناقض الرئيسي في جسم الحضارة الغربية قد أتاح لشعوبنا مقادير من حرية الاختيار في إطار هذا التغريب الذي مثل يومئذ «غواية الترغيب والترهيب» [illegible] كان غواية [illegible] الترغيب والترهيب [illegible] لكن [illegible] لا [illegible] من حرية الاختيار.

فلما حدث وسقط النموذج الشمولي الماركسي في مطلع العقد الأخير من القرن العشرين، وتوحدت قبضة الحضارة الغربية كما لم يتوحد من قبل منذ عصر التنوير الأوربي، وبرز من ذلك مع ما [illegible] الترغيب والترهيب النووي من ضبط الغرب [illegible] الداخلية والاقتصادية عند حدود وسقف الصراع غير العنيف، واقتربت هذه اللحظة التاريخية بثورة متسارعة وغير مسبوقة في [illegible] وسائل الاتصال في الفكر والثقافة والإعلام، وفي [illegible] والاقتصاد، كان ذلك الصعود الجديد لنزعة المركزية الغربية من طور العالمية بمفهومها الغربي الذي [illegible] إلى خصائصه [illegible] طور

العولمة الغربية، التي [illegible] وتريد [illegible] هامش الاختيار الذي كانت تتمتع به الشعوب والأمم والحضارات غير الغربية، وإحلال مرحلة الاجتياح محل مرحلة [illegible] الترغيب والترهيب.

فالعولمة الغربية هي طور جديد على طريق النزعة المركزية الغربية والعالمية بمفهومها الغربي. إنها طور الاجتياح الذي يطمع في [illegible] الغربي على مختلف الصُعُد والميادين الاقتصادية والسياسية والقيمية والثقافية والعسكرية والتشريعية، إلخ إلخ.

إنها مرحلة الطوفان الغربي الذي هو في الدعاوى الغربية نهاية التاريخ، ومن لم يركب في سفينة النموذج الحضاري الغربي طوعاً فخطوط الصراع والإكراه معه وضده تحددها خطوط الثقافات والحضارات.[2]

[illegible] الاجتياح العولمي الغربي [illegible] على [illegible] ودليلاً، أيضاً

[illegible]

[illegible]

[illegible]

التقنيات التي جعلت وتجعل العالم أشبه ما يكون بالقرية الكونية ، مما يؤدي إلى تصاعد مخاطر الاختلالات في موازين القوى على الأمم والحضارات المستضعفة . أما هذه العولمة ، فإن مصطلحها الحسي المصطلح الذي هو الآخر عن هذا الجديد الذي مثله فالصنعة الصرفية «فوعلة» غالبا ما تعني الدمج المخطط والقسري في قالب واحد ، ونفي التنوع والتعدد والاختلاف . نفهم ذلك وقد عرفناه وعانيناه عندما كتبت شعوبنا «بالفرنسية» و «الجزيرة» ، و «الروسية» ، و «الأمركة» و «الأسرلة» الخ . فهي أي العولمة مرحلة الاجتياح الغربي وخاصة الأمريكي نصب العالم في قالب النزعة المركزية الغربية ، على نحو غير مسبوق ، ودرجة لم يسبق لها مثيل ، بفعل المستجدات الجديدة ، في بنية الحضارة الغربية ، بتزايد «فرعونيتها» و «قارونيتها» وتضبط تناقضاتها ، وبفعل مستجدات عالم التقنيات وسلطان المعلومات . .

ذلك من تحرير وتحديد مفاهيم المصطلحات

* * *

ولأن العولمة هي الاجتياح الغربي بزعامة أمريكية تصب العالم في قالب حضارة مهيمنة، فإن هذا الاجتياح الطوفاني لا يترك ميدانًا من الميادين إلا ويريد أن يطاله ويحتويه، وخاصة إذا وجد فيه «فراغًا» يغري بالاحتواء.

● ففي الاقتصاد هناك عولمة الجبل الفاحش الذي تمثله الليبرالية الرأسمالية المتوحشة بين الشمال والجنوب، والذي يقع في الظلم الاجتماعي أفقًا غير مسبوق.

● فأبناء حضارة الشمال الذين تبوأ رفاهية مجتمعاتهم الغربية على فائض النهب الاستعماري العالمي، والذين يمثلون اليوم ٢٠٪ من سكان المعمورة يملكون ويستهلكون ٨٦٪ من الإنتاج العالمي، حتى أن ٢٢٥ فردًا منهم يملكون ما يوازي ملكية ٢.٥ مليار من أبناء الجنوب، أي قرابة نصف البشرية، بل إن ثلاثة أفراد في أمريكا تبلغ ثروتهم مثل ثروة ٤٨ دولة من أعضاء الأمم المتحدة، أي نحو ثلث أعضاء المنظمة العالمية!

● ومثل هذا الجبل الجنوبي في الملكية، نجده في الإنفاق:

٧٨٠ بليونًا من الدولارات هي حجم الإنفاق «العالمي» على التسلح وأدوات الدمار..

و٤٠٠ بليون من الدولارات هي حجم الإنفاق «العالمي» على المخدرات.

و ١٠٥ بليون من الدولارات تنفق على الحمو والكحوليات في أوربا وحدها .

و٦٧ بليوناً من الدولارات تنفق على القطط والكلاب المنزلية في أوربا وأمريكا وحدهما ! .

أي أن مجموع ما ينفق على هذه السفه والدمار يبلغ ١٤٤٢ بليون من الدولارات [illegible] مجموع الإنفاق العالمي على كل من الصحة والتعليم والغذاء لا يتجاوز ١٩ بليون [illegible] بلايين . وللغذاء والصحة ثلاثة عشر بليون-!! .

الأمر الذي يجعل هذا الاقتصاد «العالمي» الذي يريدون عولمته بإزالة الحدود الجمركية للاقتصادات والصناعات والتجارات الوطنية [illegible] الاقتصادي [illegible] عن العدالة الاجتماعية ! .

● وإذا كانت أوزان نتائج هذا الخلل الفاحش [illegible] ٢٠ من أبناء الشمال يستهلكون ٨٦ من الإنتاج العالمي [illegible] ٨٠ من البشر على ١٤ من الإنتاج العالمي [illegible] أولى نتائج هذا الخلل هي [illegible] رؤوس الأموال العالمية - التي لا هم لها سوى [illegible] الطفيلية ، بدلا من [illegible] وغسيل الأموال القذرة- وشبكات [illegible] في [illegible] أصبحت في بعض [illegible]

من المصادر الأساسية «للدخل القومي»، ويكاد «العمالة» فيها تفوق العمالة في الصناعات الإنتاجية الأساسية. عبر هذه الميادين المدمرة لإنسانية الإنسان، توجهت أغلبية رؤوس الأموال العالمية ١٠٠ تريليون دولار، أي ٩٧٪ من حجم الأموال السائلة إلى السمسرة والمضاربات، بينما الموظف في الإنتاج والتجارة هو ٣.٥ تريليون دولار، فقط لا غير.

● وعلى حين ارتفع حجم التجارة السلعية العالمية من ٢٥ تريليون دولار سنة ١٩٩٠م إلى ٣٨ تريليون دولار سنة ١٩٩٨م، فإن حجم التجارة في الأوراق المالية، أي المضاربات غير المنتجة بل والمدمرة، قد ارتفع في ذات المدة من ١٥ تريليون دولار إلى ١٨٠ تريليون. والتريليون هو بليون بليون، أي أن هذه التجارة المدمرة والطفيلية قد بلغت، في ظل العولمة ١٨٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار.

● ونسبت من الحجم الديناصوري لصناعة السلاح وتجارته، في هذا الاقتصاد «العالمي» فقد بلغ حجم العقول العلمية الموظفة في صناعة السلاح والدمار، بشكل مباشر أو غير مباشر، ٩٠٪ من عقول علماء العالم!

● وإذا كانت ديون «العالم الثالث»، أي ٨٠٪ من البشرية، قد بلغت سنة ١٩٩٧م ٩٥٠ مليار من الدولارات، فقطع فوائدها مجرد الفوائد، أربعة أضعاف ما تنفقه دول «العالم الثالث» على الصحة والتعليم مجتمعين. فإن صورة هذه المأساة

لا نفهم إلا إذا علمنا أن الشركات متعددة الجنسيات ومتعددة القارات التي تعولم هذا الاقتصاد «العالمي» تقرض الدولارات من «وال ستريت» - حي المال والأعمال في أمريكا - بفائدة قدرها ٦٪ ثم تقرض هذه الدولارات لبلاد الجنوب بفائدة تتراوح ما بين ٢٠٪ و ٥٠٪ [٤] الأمر الذي جعل سداد الجنوب من الشمال يبلغ حد تمويل الجنوب للشمال لا العكس، وتنمية الجنوب للشمال، بدلا من العكس. فقرض قصير الأجل لمصر، بلغت قيمته أربعة ملايين دولار، أصبحت قيمته الإجمالية مع الفوائد عند اكتمال سداده ٢٢ مليونا!!..

والمعونات الأمريكية لمصر، خلال الفترة من سنة ١٩٧٥م إلى سنة ١٩٨٣م، قد بلغت حوالي ٨,٥ مليار من الدولارات، وتم إنفاقها على ثلاثة برامج أساسية هي: ١- الاستيراد السلعي ٢- والمشروعات ٣- وفائض الحاصلات الزراعية. فكانت نتيجتها الحقيقية فائدة أمريكا، لا مصر. فاستعاد البرنامجان الأول والثالث ٥٧,٢٪ من إجمالي المعونات، صبت في صالح السوق الأمريكي إنتاجا وتشغيلا. فتم دعم الصناعة الأمريكية. البرنامج السلعي بـ ٣٣,١٪ من حجم المعونة. وتم دعم

٤- انظر هذه الحقائق والأرقام في «تقرير التنمية البشرية» الصادر عن الأمم المتحدة سنة ١٩٩٨م، و«الأهرام» القاهرة، مقالات صلاح الدين حافظ في ١٦-٩-١٩٩٨م، وأ.د. محمود عبد الفضيل في ١٥-٦-١٩٩٨م، والسيد يسين في ٢-١-١٩٩٩م، وكتاب معالم القرن العشرين للدكتور أحمد شوقي، طبعة المكتبة الأكاديمية، القاهرة سنة ١٩٩٩م.

المزارعين الأمريكان - (برنامج فائض الحاصلات الزراعية) ، ٢٤,١٪ من حجم المعونة ... وأخذ «الخبراء» الأمريكان ما بقي من المعونة ... ففي تطوير «ميناء الأدبية» بالسويس ضمن برنامج المشاريع ... بلغت أجور «الخبراء» الأمريكان ١٣ مليون من الدولارات أي ٦٥٪ من إجمالي تكلفة المشروع! وأجر «الخبير» الأمريكي المصري هو أربعة أضعاف أجره في وطنه أمريكا!! كما بلغت تكاليف الدراسة الأمريكية لمشروع الصرف الصحي بالإسكندرية ٥٧٪ من جملة القرض الأمريكي الموجه للمشروع!!

وذلك فضلاً عن قصر المعونات على المشروعات غير الإنتاجية ، وبالذات تلك التي تخدم تطبيع العلاقات مع إسرائيل ... والتي تخدم تجديد النسل ... إذ بلغت نسبتها إلى معونات قطاع الصحة ٥١٪!

فهي لا تقف فقط عند «إماتة» الإنتاج الحقيقي ... وإنما تنطبق عليها مثل القرائن ... ومع كل هذا الخراب ... الأمة ... الأمريكي ... الاستقلال ... «علم ... ونشيد»!

تلك هي «المفضلة الاقتصادية» التي يريدون عولمتها!

[illegible]

● والعولمة السياسية.

وعبر البعد الاقتصادي للعولمة، هناك البعد السياسي، الذي يهمش دور المنظمات الدولية لحساب تعظيم الهيمنة العالمية لمؤسسات الدولة الأمريكية. «فمجلس الأمن القومي الأمريكي» يكاد أن يحل محل «مجلس الأمن الدولي»، وقضايا وشئون العالم الإسلامي قد عُهد بها إلى «دولي» يهودي أمريكي[1]. والسيادة الوطنية لحكومات الدول النظرية والقومية، تلك التي أكدتها مواثيق الدولية، تتآكل لحساب التدخل الأمريكي والأطلسي، ولحساب تعظيم سيادة العولمة الأمريكية على حساب السيادات الوطنية والقومية بدون جنوب. وفي انتقاص هذه السيادة الوطنية للدول تشتعل «أوراق» الأقليات النصرانية والقومية في العالم الإسلامي، وتُبلور وتُموّل شرائح من غلاة العلمانيين المتغربين في بلادنا للتبشير بهذه الاتجاهات، حتى تكتب كاتب نصراني في صحيفة يسارية مجاهراً بتأييده للتدخل الأمريكي «الدولي» في شئون مصر الداخلية بدعوى «أن المطالبة بممارسة ضغوط دولية على الدول من أجل المحافظة على حقوق مواطنيها واحترام مواثيق الدولية هو أمر مشروع تماماً داخلياً وخارجياً. ولا عجب في هذا، فنحن نعيش في عصر الدولة ناقصة السيادة، وهذا أحد أهم أوجه ظاهرة الكونية.»[2]

---

[1] مجلة [illegible] الكونية [illegible] ٣ [illegible] الولايات المتحدة [illegible] يهودي في [illegible] الأمريكية و٢٣ [illegible] الأوسط وقضايا الصراع العربي الصهيوني عدد ١٢٣٣ في ٥/١/١٩٩٩م

[2] [illegible] مصر وأمريكا [illegible] صحيفة [illegible] القاهرة في ٢/٧/١٩٩٧م

بل ويدافع عن هذا التفريط العجيب في السيادة الوطنية سيادتنا نحن فقط، وليست سيادة قوى الهيمنة، التي احترفت وتحترف العنصرية واضطهاد الأمم والشعوب. ويدافع عن هذا التفريط ويُنظّر له «التقرير الاستراتيجي العربي»، الذي يصدره بتمويل أجنبي! «مؤسسة الأهرام» في مصر، والذي يشرف على إصداره «مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية» بالمؤسسة، والخاضع لتوجهات «تطبيع» العلاقات مع إسرائيل، والرضى بالتسوية الأمريكية للصراع العربي - الصهيوني[1].

هكذا تتحول «السياسة الأمريكية» إلى «السياسة العالمية» ويصبح لعولمة السياسة، وانتقاص السيادة، والتدخل في شئوننا الداخلية، دعاة وكتاب ودراسات وأدبيات!

● **والعولمة التشريعية**

ويدعم هذه العولمة السياسية، ويقنن لها، «عولمة تشريعية» يمارسها الكونجرس الأمريكي، الذي لم تعد تشريعاته وقفاً عند حدوده الوطنية - كما هو شأن كل برلمانات الدنيا - وأصل اختصاصاتها، وإنما أخذ هذا الكونجرس يشرع للعالم بأسره، فتصدر القوانين التي تصنف الدول إلى دول سافلة، وأخرى صالحة! ودول إرهابية، وأخرى مسالمة، ودول مُحاصرة، وأخرى غير مُحاصرة!

---

[1] [illegible] التقرير الاستراتيجي العربي [illegible] مركز [illegible] والدراسات السياسية [illegible] الاقتصاد والعلوم السياسية [illegible] في ٤ [illegible] سنة [illegible] وهي خاصة [illegible] التقرير [illegible] أحمد [illegible] ومحمد فرج [illegible] صحيفة (الأهالي) [illegible] في ٨/ ٣/ ٢٠٠٠

ودول تحوز فيها الاستثمار، وأخرى تفرض عليها مقاطعة! ودول تضطهد الأقليات الدينية، فتستحق العقاب الأمريكي والعالمي، ودول بريئة من هذا الاتهام! ودول يستحق إنسانها التمتع بحقوق الإنسان، ومنها حق تقرير المصير، حتى ولو كان تعدادها أقل من مليون في التيمور الشرقية، وأخرى لا يستحق إنسانها شيئاً من ذلك، حتى ولو بلغ تعدادها عشرات الملايين، كما هو الحال في كشمير والفلبين وبورما والبوسنة وكوسوفا وفلسطين.

ومثل ذلك الحال مع حق الإنسان في أن يحكم بالقانون الذي يريد. فعولمة العلمانية اللادينية، واستخدام أوراق الأقليات غير المسلمة في فرضها على الأغلبيات المسلمة هو شرعية العولمة! بينما اختيار الشعوب المسلمة الاحتكام إلى شريعتها الإسلامية هو «التطرف المحظور والأصولية المردودة» التي تبرر التدخل الخارجي في شئون تلك الشعوب!.

بل وتصل هذه العولمة التشريعية إلى حد إصدار القوانين الأمريكية، واعتماد مبررات العلمنة لتغيير نظم الحكم التي لا ترضى عنها العولمة الأمريكية، مثل إصدار الكونجرس الأمريكي القانون بحرب العراق، أي قلب نظام الحكم في بلد عضو بالأمم المتحدة.

● **والعولمة العسكرية**

وغير هذه العولمة الاقتصادية والسياسية والتشريعية هناك «العولمة العسكرية» التي تفرض كل ألوان وأبعاد العولمة على من تحدثه نفسه بالتمرد أو العصيان، فمن لم تردعه التحذيرات والعقوبات، تردعه الصواريخ والقنابل.

وإذا كان شاذاً بكل المقاييس أن تأتي الطائرات الأمريكية والبريطانية عبر القارات ومن وراء المحيطات لتضرب شعب العراق ومتابعة "بحجة الدفاع عن النفس" نفس الذين وطنهم وراء القارات والمحيطات؟! فإن هذا الشذوذ يتم تقنينه وعولمته عندما تجتمع دول حلف الأطلنطي في عيده الخمسيني بأمريكا في إبريل سنة ١٩٩٩م

فهذا الحلف الذي تكون في إبريل سنة ١٩٤٩م في ظل النظام العالمي الذي تقتضيه قد نص ميثاقه على أن مهمته خاصة بالدفاع عن "أرض الدول المشتركة فيه" لكن العولمة العسكرية قد غيرت مهام هذا الحلف وطورتها، فجعلتها "الدفاع عن المصالح" وليس فقط "أرض الدول المشتركة فيه" فامتدت الذراع العسكرية للعولمة الغربية تحت القيادة الأمريكية إلى حيث يريدون، واستحدثت "مبررات" من مثل "الأصولية الإسلامية" و"النظرة" و"اضطهاد الأقليات المسيحية" و"أسلحة الدمار الشامل" و"برامج التسلح النووي" التي جعلتها العولمة من خصائص الدول الغربية والإسلامية دون غيرها من الدول؟! أصبحت هذه "المبررات" أنواعاً مشروعة للتدخل العسكري العالمي في شئون الدول المسلمة على نسق الطاعة الأمريكي!

● وعولمة القيم الغربية

وإذا كانت العولمة العسكرية هي أداة "تنفيذ" للعولمة الاقتصادية والسياسية والتشريعية، فإن عولمة القيم والثقافة هي

[illegible] في [illegible]
[illegible] فاحتلال العقل [illegible]
[illegible]
العسكرية وتكاليف الجيوش!

[illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] مؤتمر [illegible]
[illegible] ١٥ [illegible] ١٩٩٤ م
[illegible]
[illegible]
[illegible]

● [illegible] من القيم الإسلامية [illegible] والإنسانية [illegible]
[illegible] ولهذه الأسرة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
من القيم الإسلامية [illegible] وتجعل هذه [illegible] الأسرة [illegible]
السكن والسكينة والمودة والرحمة [illegible]
[illegible]

لكن وثيقة مؤتمر السكان تسعى لعولمة التحلل والتفكك الأسري، الذي يجر ويمجر في عظام المجتمعات العربية التي عرفت عن «الزواج» واستبدالته «بالرفقة» ... وبنى أصبح ٤٠ من طفولتها ولد خارج الأسر الشرعية، أي عن طريق الزنا، و٥٠ من هؤلاء الأطفال يعيشون خارج الأسر الشرعية، أي مع «رفيق» الأم، أو «رفيقة» الأب ... وهي تهدد الانقراض بعد أن شعوبها بعد عدة عقود ... وتهدد الشيخوخة الكثير من هذه الشعوب بعد عدة سنوات ... تسعى وثيقة مؤتمر السكان لعولمة منظومة القيم العربية المدمرة للأسرة، فتدعو صراحة: «بإلحاح الحكومات والمنظمات الحكومية الدولية والمنظمات غير الحكومية المعنية ووكالات التمويل والمؤسسات البحثية إلى إعطاء ولوية للبحوث الحيوية المتعلقة بتغيير الهياكل الأسرية ...»[٩]

ولا تزال هذه الوثيقة أمر «تغيير الهياكل الأسرية» المطلوب بالاجتهادات ... وتتحدث عن «الفئران الأنقوم على الزواج» وهو ما يشيع في العلاقات المحرمة دينيا بين الجنسين أو مرأتين عند الشواذ ... بل وتتجاوز «إباحة» ذلك إلى ترتيب «حقوق» لهذه الأنواع من «الأسرة» فتقول: «وتسعى القضاء على أشكال التمييز في السياسات المتعلقة بالزواج وأشكال الاقتران الأخرى ...»[١٠]

---

٩ - ... الدولي للسكان والتنمية، القاهرة في ٥ - ١٥ سبتمبر سنة ١٩٩٤م، الترجمة العربية الرسمية، الفصل الثاني عشر، الفقرة ٢٤، طبعة سنة ١٩٩٤م

وتدخل في عداد الأسرة، ذات الحقوق: «لا عداد لكثرة من الأفراد غير المتزوجين والناشطين جنسياً»[1].

فنحن أمام عولمة مفهوم «الأسرة» لا نقف بها عند حدود «الزوج» و«الأزواج»، بل نأخذ فيها كل الأفراد الناشطين جنسياً، ومن كل الأعمار. وهو مفهوم غربي، أصبح شائعاً عنه في الغرب، فنسبه [illegible] وتسمية [illegible]، واقترب من أن تقرأ له «لا هوت - لا ديني»؟!.

● وإذا كان الإسلام قد سن سنة «المساواة» بين الإناث والذكور في الخلق والتكريم والتكليف والحساب والجزاء، مع الحرص على توزيع العمل يحافظ على فطرة التمايز بين الذكورة والأنوثة، فجعل هذه المساواة هي «مساواة الشقين المتكاملين وليس الشقين المتماثلين» حفاظاً على دواعي الاقتران والسوق والسعادة للنوع الإنساني. فإن وثيقة مؤتمر السكان تسعى إلى [illegible] في علاقات المرأة بالرجل، فضلاً عن تبني مصطلح «المساواة» المحدث عن «تمكين المرأة»[2]، وبالأمر توزيع العمل بين الرجال والنساء وفق فطرة وصنعة الذكورة والأنوثة. وهي التي أشار إليها حديث رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية في بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، ألا فكلكم راع وكلكم

[illegible] السابع، الفقرات ١٠، ١١، ١٢، ١٤، ١٧، ١٨، ٢١.

سرعت [illegible] فهو [illegible] نص الوثيقة [illegible] «**حق لجميع الأزواج والأفراد [لاحظ «الأفراد»] سواء كان امرأة أو رجلاً أو مراهقاً أو مراهقة، وينبغي أن تسعى جميع البلدان إلى توفير هذه الحقوق لجميع الأفراد، من جميع الأعمار، في أسرع وقت ممكن، وفي موعد لا يتجاوز عام ٢٠١٥.**»[١٣].

أي والله!.. هذا هو نص الوثيقة، يستنفر العالم لتوفير حقوق الإباحية الجنسية لكل الناشطين جنسياً، من كل الأعمار، في أسرع وقت ممكن، وفي موعد لا يتجاوز سنة ٢٠١٥م، حتى يبطن المرء، وهو يقرأ هذا الاستنفار، أن العفة قد غدت التهديد الأخطر للسلام العالمي!

وبهذه «القيم» الغربية، تحدثت الوثيقة عن «**السلوك الجنسي المسئول**»، وليس عن «**السلوك الجنسي الشرعي والحلال**» [illegible] من أجل الوقاية من الإصابة بالفيروس [illegible] فالهدف هو تشجيع [illegible] «لاحظ «تشجيع» [illegible] الجنسي المسئول [illegible] يسمح بوجود علاقات مساواة والاحترام [illegible] بين الجنسين [illegible] في الجنسين [illegible] حياة الأفراد [illegible]»

[illegible] الجنسية [illegible] المسئول، هي حق للجميع، بشرط أن تكون الممارسة الجنسية مسئولة [illegible] على التراضي والاحترام [illegible] حياة الأفراد!.

---

١٣ المصدر السابق: الفصل السابع الفقرات: ٢، ٣، ٥، ٤.

١٤ المصدر السابق: الفصل الثامن الفقرات: ٣٥، ٣١ والفصل السابع الفقرات: ٣٦، ٣٤، ٣٢.

■ وإذا كان الإحصاء بالزواج المبكر، هو ما يحافظ على قيمة العفة، ويسر الاستمتاع الشرعي والإخلال بالعلاقات العاطفية والجنسية بين الأزواج، فإن وثيقة مؤتمر السكان تسعى لعولمة منظومة القيم الغربية التي عدت تحرم وتحرم الزواج المبكر، وتدعو إلى [illegible] التي تصرف عن هذا الزواج المبكر.

"فالهدف هو الحيلولة دون حدوث الزيجات المبكرة، وعلى الحكومات أن تزيد سن الأدنى عند الزواج حيثما اقتضى الأمر، ولا سيما بإتاحة بدائل تغني عن الزواج المبكر."

وفي [illegible] الزواج المبكر [illegible] أو [illegible] وحقوق المراهقين [illegible] في المعاشرات الجنسية [illegible] وفي الحمل والإجهاض الآمن وتنظيم الأسرة. فالهدف هو [illegible] الخاصة بالمراهقين والبنات وخاصة [illegible] والخدمات [illegible] الجودة في مجال الرعاية الصحية والجنسية والتناسلية، كما يتعاملون مع نشاطهم الجنسي بطريقة [illegible] ومسئولة وحماية وتعزيز حقوق المراهقين في التربية والمعلومات والرعاية المتصلة بالصحة الجنسية والتناسلية، وأن تخفض عدد حالات حمل المراهقات تخفيضا كبيرا. فالمراهقون [illegible] حيث يحتاجون نوعا خاصا من المعلومات والمشورة والخدمات فيما يتعلق بتنظيم الأسرة، كما أن المراهقات اللاتي يحملن يحتجن إلى

[illegible]

دعم خاص من أسرهن ومجتمعهن المحلي خلال فترة الحمل ورعاية الطفولة المبكرة. ولذلك، يتعين على البرامج إشراك وتدريب كل من يتسنى لهم توفير التوجيه للمراهقين فيما يتعلق بالسلوك الجنسي والتناسلي المسئول، وبخاصة الأبوين والأسر وأيضا المجتمعات المحلية والمؤسسات الدينية ووسائل الإعلام وجماعات الأقران. وينبغي أن تعمل الحكومات على محاربة التمييز ضد نحو من الثابات ".

أي والله ... يدعو وثيقة مؤتمر السكان إلى استثمار ... في ذلك المؤسسات الدينية! لتوفير «حقوق» الزنا للمراهقين والمراهقات، وكذلك حقوق الحمل والإجهاض للأمن ... الأسرة ... بعد حمايتهم من «أرواح المبكر».

* * *

إنكم هو نموذج عولمة قيم التفكك الأسري، والانحلال الجنسي ... وفرضها على العالم، باسم الأمم المتحدة، ومن خلال وثيقة المؤتمر الدولي للسكان والتنمية ... هذه الوثيقة التي ربطت بين عولمة القيم وعولمة الاقتصاد ... ولؤكد المؤتمر الدولي للسكان والتنمية من جديد حاجته إلى إدماج ... الاقتصاديات التي تمر بمرحلة انتقال ... إلى التي كانت اشتراكية ... فضلا عن جميع البلدان الأخرى في الاقتصاد العالمي دمجا كاملا ".[17]

---

(١٦) المصدر السابق ... والفصل ... ٢
٥، ٩، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦ ... والفصل ...

(١٧) المصدر السابق ... ٢

وإذا كانت بعض البلاد [illegible] الإسلامية قد تحفظت على بعض فقرات هذه الوثيقة [illegible] الإسلامية، واستجابة للحملة الإسلامية التي قادها الأزهر الشريف ضد الإباحية التي شاعت فيها [illegible] الصناعة [illegible] بهذه الوثيقة قد أجهضت هذه التحفظات عندما جعلت «حقوق السيادة لكل أمة» محكومة «بالمعايير الدولية لحقوق الإنسان» والتي هي المعايير [illegible] التي تجعل الحرية [illegible] الطوعية والمستمدة من حقوق هذا الإنسان [illegible] الفكر والتطبيق في الواقع الذي نعيش فيه!

وبذلك [illegible] الوثيقة [illegible] في [illegible] التي تحفظت على بعض فقراتها، وتوالت في نصوصها العبارات التي [illegible] مثلا [illegible] للحكومات

[illegible] على أعلى مستوى سياسي لتحقيق [illegible] والأهداف الواردة في برنامج العمل

[illegible] القوم [illegible] في [illegible] أعمال [illegible]

وتسعى أعمال [illegible] هذه التدابير.

[illegible] وتنفيذ السياسات [illegible] حق سيادة لكل أمة، [illegible] مع القوانين الوطنية، **وتمثل للمعايير الدولية لحقوق الإنسان**» [illegible] السيادة [illegible]، وقوانينها الوطنية، لا بد أن تمثل

[illegible]

[illegible] ٦ ونظر في جميع [illegible]

[illegible]

في النهاية، [illegible] الإنسان [illegible] هذه الحقوق التي قررتها هذه الوثيقة، في الإباحية والتفكك الأسري والانحلال.

ونشهد على حقيقة هذا الإلزام [illegible] مثل مصر [illegible] في عاصمتها هذا المؤتمر [illegible] في مقدمة البلاد الإسلامية التي تحفظت على العديد من فقرات وثيقته.. ومع ذلك، وجدنا تقرير الجمعيات النسائية المصرية [illegible] في مؤتمر المرأة العربية [illegible] ٢٠٠٠م [illegible] «جهود الجمعيات الأهلية المصرية [illegible]» [illegible] هذه الجمعيات [illegible] على [illegible] مؤتمر [illegible] سنة ١٩٩٤م [illegible] ١٩٩٥م [illegible] ٢٠٠٠م [illegible] المجلس القومي للمرأة [illegible] ٢٠٠٠م [illegible]

[illegible] عشرة!!.. ومع ذلك فهو مجلس قومي للمرأة، في بلد مسلم، ينص دستوره على أن الإسلام هو دين الدولة، وأن [illegible] الإسلامية [illegible] ذلك، تتحدث [illegible] تكوين المجلس عن دمج المرأة في التنمية

[illegible]

الاجتماعية، فيفصح عن أن وثائق العولمة القيمية هي مرجعية، وليست المنظومة القيمية للإسلام!

بل إن الرئيس تابعوا يوعي احتفالات جمعيات نسائية في العالم الإسلامي بيوم المرأة العالمي في ٨ مارس سنة ٢٠٠٠م سيجدون أن جميع هذه الأنشطة والاحتفالات قد تمت تحت شعار «تمكين المرأة، ودمجها في التنمية الاجتماعية» وهي الصيغة التي صكها مؤتمر القاهرة، ومؤتمر بكين!

فوثائق هذين المؤتمرين قد عدت مرجعية، رغم نصوص الدساتير والقوانين في بلاد الإسلام، ورغم تحفظات حكومات الإسلامية على بعض ما جاء في هذه الوثائق من فقرات! بل إن قوانين [illegible] أو تجري مطالبات بتعديلها، لتتسق مع ما جاء في هذه الوثائق من قيم وأهداف! ذلك أن وثيقة مؤتمر السكان قد جعلت «المعايير الدولية لحقوق الإنسان» وهي غربية في الأساس مرجعية التي يجب أن «تمثل» بها «سيادة الأمم وقوانينها الوطنية» فغدت عولمة القيم الغربية مرجعية التي توضع لا في الممارسة والتطبيق!

● **وعولمة الثقافة الحداثية:**

وإذا كان الإسلام يعلم التطور والتقدم في الفكر والثقافة منهاج التجديد الذي يستصحب الثوابت الإسلامية، ويجدد في المتغيرات وفقه الواقع وفقه الأحكام والنظم والمؤسسات، على النحو الذي يجعل ثقافة الأمة إسلامية دائما وأبدا، عبر الزمان

والمكان، ويجعلها كذلك متطورة ومواكبة لكل المستجدات حتى لقد جعل الإسلام من هذا المنهاج التجديدي سنة من سنن الفكر لا تبديل لها ولا تحويل، فقال رسول الله ﷺ: «يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها» رواه أبو داود.

إذا كان هذا هو منهاج الإسلام في الفكر والثقافة، فإن العملة الأمريكية تعوم وتعمم وتفرض ثقافة «الحداثة الغربية» التي أقامت وتقيم «قطيعة معرفية» مع الموروث، ومع «الموروث الديني» على وجه الخصوص. فمنذ عصر التنوير الغربي «الوضعي والعلماني والمادي» أقامت ثقافة الحداثة قطيعة مع الله والغيب والدين، عندما تحورت حول الإنسان بدلاً من الله، وعندما جعلت هذا الإنسان «صنعياً» بدلاً من أن يكون «ربانياً»، نتج الله فيه من روحه، لا تجده خليفة عنه للنهوض برسالة العمران.

ولقد كشف علماؤنا هذه النزعة «اللادينية - الدهرية» في ثقافة الحداثة الغربية منذ فجر نقضها الحديثة والاحتكاك مع هذه الحداثة الوافدة على البلاد في ركاب الاستعمار. فعبد الرحمن الجبرتي (١٧٦٧ - ١٢٣١هـ/١٧٥٤ - ١٨٢٢م) عندما احتك بفكر الحداثة الوافد مع نوبارت (١٧٦٩ - ١٨٢١م) والحملة الفرنسية على مصر (١٢١٣ - ١٢١٦هـ/١٧٩٨ - ١٨٠١م) لم ير في هؤلاء الفرنسيين نصارى كتابيين، ذوي ثقافة نصرانية، وإنما كشف حقيقة فلسفتهم الوضعية العلمانية اللادينية، التي أقامت قطيعة معرفية مع مصر

لإسلام ... فكتب ... وعصريه ... يعتقد على الأقل
... به «المحض هو ... به الإسلام، ومحترمي الإسلام
فقط ... سلامهم ... فقد حقهم ... وذمتهم، وهم ... كو
من الأديان ... وهذه ... مُقصون ... ومفسدو ... خاسرون
... وكفرة ولرسله جاحدون ...»[٢]

... ١٢٩٠ هـ ١٠١
١٨٧٣م] ... في خمر ... الجمعية الآسيوية في باريس ... قد
... على جمهور ... وعصبيته ... «ليس لهم من دين
... إلا اسمه فقط ... يحبون الخوض ... كل عصر ... في
... وبدع ... ويصدقون ... ما في كتب ... من
خروجه عن الأمور ... وفي ... حبه ... لإسلامه
... كتب ... وفي كتب ... من جدل ... ودين
... علوم القرآن ... علوم المدن ...»

... ...

فقد أفاض في الحديث عن «الدهرية» هذه الثقافة الحديثة التنويرية الأوربية، التي أحيا فلاسفة تنويرها، وخاصة «فولتير» ١٧٣٤ - ١٧٧٨م و«روسو» ١٧١٢ - ١٧٧٨م، دهرية «أبيقور» الكلبي ٣٤٠ - ٢٧٠ق.م، الأمر الذي جعل الثورة الفرنسية وبالأعلى الثقافة الفرنسية متواصلة مع النصرانية. فبعد أن كان الشعب الفرنسي مشرفاً للتمدن في سائر الممالك الغربية، ظهر فيهم ووليتر وروسو، يزعمان حماية العدل ومعاداة الظلم وإقامة إنارة الأفكار وهداية العقول، فنشأ فيرابيقور الكلبي وأحيا ما بقي من عظام الدهريين، وبدأ كل يكشف ديني وعرس بدور الأباحية والإثارة، وزعما أن الآداب الإلهية جعلت خرافة كما زعما أن الأديان مخترعات حدثها بعض العقل الإنساني وجهر كلاهما بإنكار الألوهية، ورفع كل عقيرته بالتشنيع على الأنبياء، أبرأهم الله مما قالا. وكثيراً ما ألف ووليتر من الكتب في تخطئة الأنبياء والسخرية بهم والقدح في إنسانهم وعيب ما جاءوا به، فأخذت هذه الأباطيل من نفوس الفرنساويين، ونالت من عقولهم، فنبذوا الديانة العيسوية ونفضوا منها يديهم وبعد أن علقوا ثوابها فسخوا على أنفسهم ثوابت الشريعة المقدسة في زعمهم شريعة الطبيعة»[٢٢].

وعندما قامت في [illegible] الواسطة [illegible] صنعت عقولهم وثقافتهم في [illegible] الفرنسية

---

٢٢ [illegible] ص ٦٢ [illegible] محمد عمارة طبعة القاهرة سنة ١٩٨٠م

مؤسسات ثقافية وصحف ومجلات اخترقت التيسير لثقافة الحداثة الغربية. وفي مقدمتها مجلة «المقتطف» ١٢٩٣ - ١٣٧١ هـ ١٨٨٩ - ١٩٥٢ م] التي أخذت تسرب هذه الحداثة اللادينية تحت لافتات «العلم» و«النظريات العلمية». كشف عبد الله النديم ١٢٦١ - ١٣١٣هـ ١٨٤٥ - ١٨٩٦] الطابع الإلحادي لهذه الثقافة الحداثية، وتحدث عن هذا الفريق من كتاب «المقتطف» واصفا إياهم بأنهم «أعداء الله وأنبيائه والأجراء الذين نشبوا لهم جريدة جعلوها خزانة لترجمة كلام من لم يدينوا بدين، ممن ينسبون معجزات الأنبياء إلى الظواهر الطبيعية والتراكيب الكيماوية ويرجعون بالمكونات إلى المادة والطبيعة، منكرين وجود الإله الخالق وقد نشروا هذه الأباطيل تحت اسم فصول علمية وما هي إلا معاول يهدمون بها عموم الأديان». [٢٣].

هكذا تمتع علماء الأمة بهذا العمق ونفاذ الرؤية، فميزوا بين نهضة الغرب في العلوم الطبيعية وتصنيفها، وبين وضعية ولادينية ثقافية حداثية. وهذا عمق ونفاذ رؤية أقيمت إليهما الذين انخدعوا بهذه الحداثة من مثقفينا المغربيين!

ولا يحسن أن أنهي هذا الذي تحدث عنه أئمة يقظين من قيام القطيعة المعرفية بين ثقافة الحداثة الغربية [illegible]

٢٣ مجلة [illegible] العدد السابع والثلاثون ص ٩٢٣ - ٩٢٤ في ذي القعدة سنة ١٣١٠ هـ مايو سنة ١٨٩٣م

فيه الغربيون كما يمارى فيه بعض المتغربين[24]. فهذه القصعة هي من المسلمات التي يعترف بها ويعلنها دعاة هذه الحداثة، عندما يقولون: «إن أيديولوجيا التنوير قد فصلت بين عصرين من الروح البشرية عصر الخلاصة اللاهوتية وعصر الموسوعة الفلاسفة التنوير. ومنذ الآن فصاعدا راح الأمل بمملكة الله يتراجع لكي يحتل المكان بتقدم عصر العقل وهيمنته وهكذا راح نظام النعمة الإلهية يتمحى ويتلاشى أمام نظام الطبيعة. لقد أصبح الإنسان وحده مقياساً للإنسان»[24].

بل إن الاعتراف الحداثي بهذه القصعة مع الله والدين يبلغ حد الاستقرار لأي لون من ألوان الإيمان بأي دين من الأديان. عندما يعرّف أحد الحداثيين هذه الحداثة عند واحد من أبرز دعاتها المعاصرين - د. محمد أركون - فيقول عنها: «إنها القول بمرجعية العقل وحاكميته وإحلال سيادة الإنسان وسيطرته على الطبيعة مكان أمبريالية الذات الإلهية وهيمنتها على الكون»[25].

---

٢٤ هاشم صالح، مجلة الوحدة، المغرب، عدد فبراير، مارس ١٩٩٣م، ص ٢٠، ٢١ - وهو ينقل عن كتاب إميل بولا [الحرية، العلمية، حرب شطرة، فرنسا ومنذ] حداثة منشورات سيرف، باريس سنة ١٩٨٧م. وأنظر كتاب الإسلام بين التنوير والتزوير، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م.

٢٥ [illegible] صحيفة (الحياة) [illegible] في ١٨ / ١١ / ١٩٩٦م.

فثقافة الحداثة [illegible] بأعراف أهلها [illegible] ورؤية علمائنا حقيقتها [illegible] هي ثقافة القطيعة مع الله والغيب والدين [illegible] ثقافة الدنيا والدنيوية ﴿ وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ﴾ [illegible] ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ([illegible]) يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ [illegible] ثقافة الإنسان «الطبيعي الحيواني» لا ثقافة الإنسان الرباني، الخليفة لله [illegible] ثقافة عبادة الطبيعة والدنيا، بدلا من عبادة الله ! . .

وهذا العقل الذي ألهته وعبدته هذه الثقافة الحداثية، عندما انتقلت به من «التسمية» إلى «الإطلاق»، قائلة: «إنه لا سلطان على العقل إلا للعقل» [illegible] هو غير العقل والعقلانية في الثقافة الإسلامية المؤمنة، ذلك الذي لا غنى عنه كملكة من ملكات الإنسان، ونعمة من نعم الله على هذا الإنسان، والجوهر الذي تميز به الإنسان عن غيره من المخلوقات، ومناط التكليف الإنساني لكنه ليس وحده السبيل إلى المعرفة، وإنما يؤمل في هذه المهمة ويبارز ويتآخى مع الوحي والتجربة والوجدان [illegible] الثقافة المتوارثة [illegible] وفي مقابل الثانية الحداثي للعقل، نجد الرؤية الإسلامية التي صورها حجة الإسلام أبو حامد الغزالي [٤٥ [illegible] ٥٥هـ ٥٨

[illegible] فمثال العقل البصر السليم من الآفات والأذى، ومثال القرآن الشمس المنيرة الضياء فأخلق أن يكون

طالب الاهتداء المستعلي بأحدهما عن الآخر في عمار الاعتناء فالمعرض عن العقل، مكتفياً بنور القرآن، مثاله المتعرض بنور الشمس مغمضاً للأجفان فلا فرق بينه وبين العميان فالعقل مع الشرع نور على نور [2]

وإذا كان الاستعمار الغربي، في مرحلة الغزو المسلح، قد حاول فرض هذه الثقافة الجديدة عليه تحت السيف، و«بحق الفتح»، فدعى الفرنسيون في شمال إفريقيا إلى «الفصل بين الإسلام والاستعمار» لإحلال الفرنسية محل العربية، وإلى «فصل الدين عن القانون المدني» وحصر الإسلام في الاعتقاد وحده، لدمج العرف في القانون الفرنسي بدلاً من القانون الإسلامي، لإنشاء نظام للعدلية في اتجاه فرنسي خالص، وإحداث التمدن خارج دائرة الإسلام [3]

فإن هذا العرض لثقافة حديثة، والقطيعة مع الإسلام، هو ما يسعى إليه العولمة الغربية هذه الأيام، لا بواسطة الفتح المسلح، كما كان الحال إبان الاستعمار التقليدي، وإنما بواسطة شرائح العلم العلماني في بلادنا، تلك التي صنعها الاستعمار على عينه، وتمول [illegible] «بحالها» تمويلاً علنياً ومباشراً، ومن خلال تحالف هذا العلم العلماني مع شرائح من الأقليات التي دفعتها وتدفعها [illegible] وعلمانيته إلى الولاء والاحتماء بالغرب، بدلاً من الولاء [illegible] الإسلامية [illegible] الوطنية والقومية [illegible] هذا التحالف إلى الانقلاب على هوية المجتمع بإلغاء [illegible] التي تحدد الهوية

---

[2] [illegible]

[3] [illegible]

ص ٢٧٦ - ٢٧٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٧ م

الإسلامية بدين المجتمع وقيمه وثقافته وقانونه. كما هو حادث في مصر الآن، وتسيّر المظاهرات، وتريق الدماء لوقف إسلامية الثقافة القانونية. كما حدث في بيجيريا، مارس سنة ٢٠٠٠ م.

تلك هي ثقافة الحداثة، التي بدأ يعرب تعميمها، بالترغيب والترهيب، منذ قرنين من الزمان، والتي يعولمها، بالاجتياح، ثورة وسائل الاتصال التي تعيش في ظلالها هذه الأيام.

● والعولمة اللغوية

ومع عولمة القيم الغربية، وثقافة الحداثة، تتم أيضاً عولمة اللغات الغربية، لتزيح اللغات الوطنية والقومية عن عروشها!

وإذا كانت «الفرنسية» و«الجليزية» و«الروسية» قد بدأت مع الاستعمار الغربي الحديث، ولا زالت بصماتها السوداء باقية في ثقافتنا وإعلامنا ولغة خطابنا وشركاتنا ولافتات متاجرنا فضلاً عن مدارسنا وجامعاتنا، فإن العولمة الاقتصادية، التي تحولنا إلى «عمالة» في الشركات الغربية عابرة القارات والجنسيات، وإلى مستوردين وموزعين و«مستهلكين» لمنتجات تلك الشركات، ستفرض علينا بحكم العمل والاستهلاك إحلال لغات تلك الشركات وأسماء سلعها محل لغاتنا الوطنية والقومية، حتى تصبح بلادنا «سوبر ماركت» لا علاقة لما فيه بلغاتنا، بما في تلك العربية، لسان الإسلام، ولغة القرآن الكريم!

● والعولمة الدينية

وغير العولمة للاقتصاد، والسياسة، والتشريع، والعسكرية، والقيم، والثقافة، واللغات، هناك عولمة الدين، لتصير المسلمين، طموحاً إلى إلغاء أمتنا وحضارتنا، وطي صفحة الإسلام من سجل الوجود!

وإذا كان الوعد الإلهي قد جعل ويجعل هذا الهدف الجنون مستحيلا ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر) فيجب أن نفرق بين «حفظ» الدين، وبين «إقامة» الدين. فالله سبحانه وتعالى قد وعد بحفظ القرآن ديوان الدين الإسلامي لكن إقامة هذا الدين هي تكليفنا نحن ومهمتنا نحن. وهذا هو الذي يتعرض لامتحان العولمة على جبهة التبشير.

وإذا كانت الأرثوذكسية السلافية الغربية تمارس هذه المهمة، غير المقدسة، عن طريق الإبادة، والتطهير «العرقي الديني»، والمقابر الجماعية التي تدفن فيها المسلمين من البلقان إلى القوقاز، فإن الكنيسة الكاثوليكية الغربية قد أعلنت الحرب لتنصير المسلمين، بدلا من تنصير بيتها الأوربي، الذي انحدر إلى الإلحاد واللاأدرية. فرفعت شعار «إفريقيا نصرانية سنة ٢٠٠٠م» فلما خيب الله آمالها، لم ترعوي، وإنما أخرجت التاريخ إلى سنة ٢٠٢٥م. وهي لا تستحي من الحديث عن «التحدي الإسلامي» و«الفتح الإسلامي لأوربا» فيقول مساعد بابا الفاتيكان ومسئول المجلس الفاتيكاني للثقافة الكاردينال «بول بوبار» في حديثه لصحيفة «الفيجارو» الفرنسية: «إن الإسلام يشكل تحديا بالنسبة لأوربا وللغرب عموما وإن التحدي الذي يشكله الإسلام يكمن في أنه دين وثقافة ومجتمع، وأسلوب حياة وتفكير وتصرف في حين أن المسيحيين في أوربا يميلون إلى تهميش الكنيسة أمام المجتمع ويتناسون الصيام الذي يفرضه عليهم دينهم، وفي الوقت نفسه يتبهرون بصيام المسلمين في شهر رمضان»[٢٨].

أما البروتستانتية الغربية، فإن بروتوكولات قساوسة التبشير فيها

٢٨) صحيفة «الشرق الأوسط» لندن - في ١ - ١٠ سنة ١٩٩٩م

سورت في مؤتمر «كولورادو» بأمريكا مايو سنة ١٩٧٨م تلك التي تقول: «إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية والنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعياً وسياسياً ونحن بحاجة إلى مناسب المراكز للتركيز على الإسلام بفهمه ولاختراقه في صدق ودهاء!» [٢٩].

ومع التخطيط لاختراق الإسلام وثقافته، بالاعتماد المتبادل مع الكنائس الخليجية، ومن خلال العمالة المدنية الأجنبية، تعلن البروتستانتية بلا حياء ولا أخلاق أن صناعة الكوارث في العالم الإسلامي هي السبيل إلى تحويل المسلمين عن الإسلام إلى النصرانية، فيقولون: «لكي يكون هناك تحول إلى النصرانية فلابد من وجود أزمات تدفع الناس خارج حالة التوازن التي اعتادوها، إن تقديم العون لذوي الحاجة قد أصبح أمراً مهماً في عملية التنصير، وإن إحدى معجزات عصرنا أن احتياجات كثير من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكوماتها التي كانت تناهض العمل النصراني، فأصبحت أكثر تقبلاً للنصارى!» [٣٠].

هكذا تتم العولمة والاجتياح على كل الجبهات [illegible] المبادئ، من الاقتصاد والسياسة إلى القيم والثقافة [illegible] مروراً بالعسكرية والتشريعات.. واللغات!

---

٢٩ التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

إن عظم المخاطر، وشراسة التحديات، لا تعني أن الضوء قاتم ولا أننا أمام طريق مسدود. ونقطة البداية في مخاطر العولمة ومواجهتها والتعامل معها هو أن نعي قوى النقطة والأصالة الوطنية والقومية والإسلامية في عالم الإسلام حقائق الموقف دونما تهويل ولا تهوين، وأن نحدد نقاط قوتها، ونفرض المتاحة أمامها في مواجهة هذه التحديات، أي أن نعي حقائق وقوى وتضاريس الموقف الداخلي والخارجي على السواء.

■ فالغرب، الذي تأتي منه أعاصير العولمة، ليس كتلة واحدة مصمتة ولا صماء، وإنما يجب أن نميز فيه بين «الإنسان» الغربي و«العلم» الغربي و«المشروع» الغربي. فالإنسان الغربي لا مشكلة لنا معه، بل قد يكون هذا الإنسان ضحية «الصناعة الصورة» في مارد الإعلام المتحيز ضد قضايانا العادلة، ومن ثم فهو بالنسبة لقضايانا يمثل إمكانية صداقة ومعاونة، بل إن هذا الإنسان يفتح عقله وقلبه حتى للإسلام إذا نحن أحسنا خطابه، وعرضنا عليه بضاعتنا بمنطق العقل والعدل والمصلحة. وفي قضية العولمة، قد يكتشف هذا الإنسان الغربي أنه هو نفسه معنا ضحية مخاطر التوحش الرأسمالي الذي يهدد عولمته!

وكذلك العلم الغربي ليست بيننا وبينه مشكلة، بل إنه بالنسبة لنا هو الحكمة المنشودة التي هي ضالتنا، والتي يجب أن

تسعى إليها أنى وجدناها، فنحن الأحق بها. فهو سلاح من أمضى أسلحة قوتنا، التي بدونها لن نستطيع مواجهة ما يتهددنا من مخاطر وتحديات.

أما مشكلتنا مع العولمة الغربية فهي مع «المشروع الغربي والأمريكي بالدرجة الأولى و«قفازه» الصهيوني على أرض فلسطين فعلينا أن نميز بين غرب وغرب وأن نستعين على «المشروع الغربي» وبالذات جوانبه المعادية بما في الغرب من إمكانات وطاقات يمكن الاستفادة منها والاستعانة بها، وعلى الأقل تحييدها. ولنذكر تلك السنة الحميدة لمشروعاتنا النهضوية وحركات تحررنا الوطني إبان الاستعمار التقليدي عندما كانت قوانا الحية والفائدة تتحالف مع قوى العدل والحرية في الغرب، أو تحسن الاستفادة من التناقضات الغربية. صنع ذلك محمد علي باشا [١١٨٤ - ١٢٦٥هـ ١٧٧٠ - ١٨٤٩م]، وجمال الدين الأفغاني [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] وتنظيم «العروة الوثقى» ومصطفى كامل باشا [١٢٩١ - ١٣٢٦هـ ١٨٧٤ - ١٩٠٨م] وحزبه الوطني. وكذلك كل العقلاء عندما يخوضون المواجهات مع التحديات. ولقد كانت لنا تجربة في مواجهة عولمة القيم، عندما تحالفنا مع الكنيسة الكاثوليكية ضد سلبيات وثيقة مؤتمر السكان والتنمية سنة ١٩٩٤م. وعندما وجدنا أنفسنا في خندق واحد مع مئات منظمات المجتمع المدني الغربية ضد العولمة ومنظمة التجارة العالمية في مدينة «سياتل» الأمريكية في نوفمبر سنة ١٩٩٩م. تلك المنظمات التي هتفت مظاهراتنا: نريد تجارة عادلة لا حرة!

فكانت عونا للمندوبي دون الجنوب في مؤتمر «سيتيرا» وسيتجلى
بين قوى العولمة وبين تحقيق ماتريد

● كذلك على قوى اليقظة والاصالة في عالم الإسلام أن تميز في مكونات ظاهرة العولمة بين التقنيات التي تحول العالم إلى قرية واحدة، والتي هي بالنسبة لنا فرص متاحة للتطور والتقدم والتعلم إذا نحن أحسنا استخدامها وتوظيفها وحمايتها بالمضامين المنسقة مع هويتنا وقيمنا الإسلامية. علينا أن نميز بين هذه التقنيات وبين العولمة كأيديولوجية تشرع وتبرر وتكرس لهيمنة الغرب والشمال على العالم بأسره. وأيضا أن نميز بين هذه التقنيات وبين المصالح الغربية غير المشروعة، التي تسعى إليها شركات الغرب العابرة للقارات من وراء العولمة.

إن تحول العالم بالتقنيات ثورة الاتصال إلى قرية عالمية، هو حقيقة وواقع. ولكن أيديولوجية هيمنة العولمة الغربية لا تجعل ثبوت هذه القرية وسكانها سواء، لأن أيديولوجية العولمة تريد سيادة «التوازن القوي» وهو مخبر جدلا فاحشا بدلا من «توازن المصالح» والثقافات والحضارات، وتجعل «العالمية الإنسانية» بدلا من «العولمة الغربية». فنحن نريد «القرية العالمية» التي تسودها هذا التوازن في المصالح والتفاعل في الثقافات ونرفض القرية المعولمة التي فيها القاتل والمقتول ومن يُنزع سيادته عن أرض وطنه ومن ينزع هذه السيادة من أصحابها، ومن يُحرم من حقه الفطري في تقرير المصير، ومن يقرر مصائر الآخرين ومن يحمي بالقوة أطغيان الاحتكارات الرأسمالية العالمية على

حسب الحمايات الوطنية لاقتصادات بدون تنمية. فموقفنا يجب أن يكون ضد القرية المعولمة ومع القرية العالمية. [illegible] التي تفتح الحدود وتزيل السدود ولكننا نريد [illegible] هذه التقنيات تفتح الحدود بين دول عالم الإسلام لا أن يكون الفتح فقط لحدود كل بلد مسلم مع مركز الهيمنة الغربية. فالتقنيات التي تفتح الحدود [illegible] مع الشمال يمكن ويجب أن تفتح حدودنا [illegible] مع دول الجوار الإسلامي لتحصيل العافية التي تمكننا من تحمل رياح الشمال.

وكذلك الحال بين عالم الإسلام ودول وحضارات الجنوب، فتسامح [illegible] حضارية مع هذه الحضارات هو جزء من ترتيب الإمكانات لتحقيق شروط التوازن في هذه المواجهات.

● كذلك، على قوى النقطة والأصالة [illegible] الوطنية والقومية والإسلامية [illegible] تكشف زيف التغريب الفكري في بلادنا، ذلك الذي رحبت رموزه بالعولمة، باعتبارها «واقعا [illegible] وقطارا [illegible] ركوبه قضاء وقدرا»، والامتناع عن اللحاق به سيؤدي [illegible] [illegible] هؤلاء [illegible] الحداثة الغربية عموما، والعولمة المعاصرة خصوصا [illegible] ثقافة [illegible] في طريقها إلى أن تصبح ثقافة عالمية أو كونية [illegible] ما في الكلمة من معنى فلا شيء [illegible] على الوقوف في طريقها [illegible] الثقافات [illegible] أن تصبح شيئا [illegible] ثقافة العولمة أحببنا ذلك أو كرهنا، وافقنا أو رفضنا»[2].

[illegible]

عسى أن يكشف زيف هذا "المنطق" المغربي، بالتمييز بين "الواقع" وبين "التسليم بهذا الواقع". فالعولمة كطور جديد في واقع وعلاقة النظام العربي وخاصة الأمريكي بالعالم هي حقيقة لا ينكرها إلا واهم، ولكن المطلوب هو التعامل مع هذا الواقع وليس التسليم والقبول بهذا الواقع.

لقد جاء على عالمنا الإسلامي حين من الدهر عملية القوى الاستعمارية الأوربية حديثاً. ومن قبل وقع هذا الاستعمار الحديث، عاش عالمنا الإسلامي وقع الغزوة الصليبية، التي دامت هي الأخرى قرنين من الزمان ٤٨٩ - ٦٩٠ هـ ١٠٩٠ - ١٢٩١م. وإذا ذلك واجهت أمتنا وقع الاحتلال العسكري ونهب الاقتصادي والاستعمار الاستيطاني. وفي مقربات ذلك الواقع عولمت القدس إلى مدينة لاتينية صليبية، ومسجد الأقصى إلى كنيسة، والأزهر إلى صطبل جمل "بونابرت"، والجزائر إلى قطعة من فرنسا. [illegible] لكن الأمة "تعاملت" مع هذا الواقع" حتى غزوته، ولم "تقبل" ذلك الواقع أو "تلحق" به، أو "تندمج" فيه. فالاعتراف بالواقع سيء، والقبول به سيء [illegible] وذلك حقيقة يجب أن يكشف بها زيف التعامل الفكري [illegible] من مثقفينا أثناء حماسنا للعولمة العربية وتحرير التجارة العالمية من جماهير عالمية تظاهرت في "سياتل" و"ديفوس" سنة ١٩٩٩م، و"بانكوك" سنة ٢٠٠٠م ضد هذه العولمة، واصفة إياها "بالامبريالية جديدة".

كما لا بد من كشف [illegible] "[illegible]"

[illegible] العولمة فقط، وإنما [illegible] الاحتياج للقيم والثقافة الإسلامية التي يكرهون!

● كذلك [illegible] وعلى كثير من حكوماتنا [illegible] الاجتماعية [illegible] العولمة، وسعيها إلى [illegible] الإسلامي في [illegible] «صانع القرار» - [illegible] في [illegible] وبين شرائح التغريب الثقافي، المحسوبة أحيانا على صانع القرار!

ففي الوقت الذي كان نفر من شواذ [illegible] في مصر [illegible] مع [illegible] مائتي عام على [illegible] «[illegible]» [illegible] مصر [illegible] الاستقلال! [illegible] حكومة مصرية [illegible] من العولمة [illegible] في [illegible] فرنسا [illegible] على مصر [illegible] الأوربية بالسلع المصرية! الأمر الذي أفضى [illegible] مصر ٤١٪ من تجارتها مع أوربا [illegible] مصر قد صدرت [illegible] مليون دولار [illegible] منها ٧ مليارات!...[٣٢]

ولقد كان خطاب مصر الدولة في مؤتمر «[illegible]» سنة ١٩٩٨م دعوة لموقف موحد ضد مخاطر العولمة، لا على اقتصادات الجنوب [illegible] على [illegible] «[illegible]» [illegible] دول الجنوب [illegible]

٣٢ الأهرام [illegible]

العالم، معناه انعدام القوة الشرائية للسلع ومنتجات هذه الدول «المتقدمة». وتحول رأس المال المالي إلى مضاربات لا أمر الإنتاج، بل تقف كوارثه وزلازله عند الدول النامية وحدها، لأن عولمة الاقتصاد، ستجعل الكوارث عالمية أيضاً!

ولقد تجلى هذا الوعي بمخاطر العولمة الاقتصادية في السعي الحثيث، رغم المعوقات الخارجية والداخلية، لترتيب البيت العربي والإسلامي، بالتكامل الاقتصادي، والمناطق الحرة، والسوق المشتركة. وشهدت السنوات الأخيرة المساعي لإقامة العلاقات والتكامل والتساند بين الدول الثماني الإسلامية والدول ١٥ والكومنسيا العربية الإفريقية الخ.

كذلك، وعت التجارب التنموية الأسيوية، وخاصة التجربة الماليزية، دور العولمة ورأس المال المالي، «الميزانية الساخنة الهائمة في البورصات والمضاربات» في إجهاض هذه التجارب التنموية، وتخريب ثمرات العناية التي بذلتها شعوب تلك البلاد في سبيل التقدم والنهوض والرخاء.

ووعت أفريقيا مخاطر العولمة، فجاء «إعلان الجزائر» الصادر عن قمة منظمة الوحدة الإفريقية في ١٤-٧-١٩٩٩م، لتحديد مخاطر الخمسة التي تواجه القارة، وعالم الجنوب، فإذا العولمة هي الخطر الأول، ومعه الهمس الأثم المتجدد، وهو من آثار العولمة. ونزع السلاح النووي والإرهاب والجريمة المنظمة وانحسار آفاق التنمية للدول النامية في ظل الاقتصاد العالمي، وهو أيضاً من آثار العولمة.

فيه الوعي بمخاطر العولمة، عند «صانع القرار» وهذه المساعي
الغير كافية حتى الآن، والتي لا تتناسب مع ممارسة التحدي
جديرة بأن تكون في وعي وحسابات قوى النقطة والأصالة
الوطنية والقومية والإسلامية في البلاد، وذلك بأعمقها
وتعظيمها. والحذر من طغيان التناقضات الثانوية بين قوى النقطة
هذه وبين صانع القرار على التناقضات الرئيسية والعدائية بين الأمة
حكاما ومحكومين وبين قوى الهيمنة العولمة.

لقد عرفت البلاد في مواجهة الاستعمار التقليدي والمباشر
إطار «جبهة وطنية» عريضة، التي جمعت قوميات الأمة
وطبقاتها ومذاهبها وتياراتها الفكرية والاجتماعية ضد الاحتلال
الأجنبي. ومطلوب اليوم الدعوة إلى جبهة وطنية عريضة
لمواجهة الامبريالية الجديدة العولمة التي تجتاح عالمنا دون
جيوش. وكما استفدنا من تقنيات الثورة الصناعية الأوربية التي
قررت ظاهرة الاستعمار في مواجهة هذا الاستعمار وفي تغيير
واقعه علينا اليوم الاستفادة من تقنيات عصر العولمة في ترتيب
البيت الإسلامي لتحقيق عالمية العالم بدلا من عولمته.

* * *

إن عالم الإسلام، ومعه حضارات الجنوب، تملك من
الإمكانات ما يغري الخلصين والواعين بترتيبها وتعظيمها، لا
للعزلة بها ولا لانغلاق عليها، فذلك وهم غير ممكن وغير مفيد، وإنما
للتعدين موازين القوى الدولية، وتحقيق العالمية الإنسانية، لا
العولمة الغربية. فعالم الجنوب يسود «الموارد المصنعة» من السمات

وأكثرها متخلفة وحديث منها هو الاستهلاكي لا الإنتاجي
تستوردها الحبوب بأعلى الأسعار، بينما تصدر المسمال بأرخص
الأسعار ٤٠٪ من المعادن و ٣٥٪ من النفط و ٩٣٪ من
القصدير - و ٦٥٪ من الخشب و ٤٠٪ من القطن

والعالم الإسلامي وحده، يمتلك وطنا مساحته ٣٥ مليون من
الكيلومترات المربعة، يعيش فيه أمة يبلغ تعدادها بجوامع
البشرية ١٣٨٤٨٠٠٠٠٠ نسمة، بينما يعيش في الصين قرابة
هذا التعداد على مساحة هي ⅛ من مساحة العالم الإسلامي

وعبر الإمكانات الروحية والحضارية والثقافية التي يملكها العالم
الإسلامي وحدة العقيدة والشريعة والأمة والحضارة
ودار الإسلام - فإن هذا العالم هو

العالم الأول في البترول والغاز والمنجنيز والكروم والقصدير
والبوكسيت

وهو العالم الثاني في النحاس والفوسفات

وهو العالم الثالث في الحديد.

والعالم الخامس في الرصاص

والسابع في الفحم.

وإذا كانت أغلب أثرات العالم الإسلامي إنما تستخرج من باطن
الأرض وهي مركوزة فيها فإن بابا واحدا من أبواب الزكاة، وهو
كاه الزكاة ٢٠٪ من قيمة ما يستخرج من باطن الأرض يمكن

أن تقيم صندوق تنمية كل العالم الإسلامي، بإحلال [illegible] وفقا لحديث رسول الله ﷺ: «وفي تركة الخمس» رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود ومالك والإمام أحمد. [illegible] عن [illegible] الذي [illegible] في [illegible] جاهلية [illegible] وخارج أعلان المؤسسات الاقتصادية للعولمة الغربية - صندوق النقد الدولي والبنك الدولي -.

وباستطاعة التكامل الاقتصادي أن يجعل عالم الإسلام حرًّا في مصادر غذائه، ففيه أطول أنهار الدنيا، وأقدم [illegible] الزراعة، ومئات الملايين من الأفدنة التي يمكن أن تزرع باستثمار الفوائض النقدية الإسلامية، المودعة في بنوك العولمة الغربية والتي تتآكل هناك بالمخاطر والمؤامرات!

وباستطاعة التكامل الاقتصادي أن يفتح حدود عالم الإسلام أمام التجارة البينية التي تقف الآن عند ٨٪ من حجم هذه التجارة، بينما ٩٢٪ منها قائم بين كل دولة قطرية و[illegible] [illegible] **فتصبح العولمة ممكنة وأولى بها أن تعولم عالم الإسلام ولا تفتح حدوده للتجارة الإسلامية المتكاملة، وللتكامل الصناعي وبعد ذلك يكون التعامل مع العالم ككتلة اقتصادية** [illegible] قانون العصر، الذي تطبقه أوربا، كقارة، وأمريكا، [illegible] [illegible] لأنها أمة، وليست مجرد مساحة في [illegible]

ومصادر الإقليمية العربية والإسلامية والإفريقية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإسلام ودار الإسلام [illegible] الخلافة الإسلامية [illegible]

[illegible]

[illegible] ١٣١٣ هـ ١٨٩٥ [illegible] ١٩٧١م [illegible] عصبية ثم إسلامية! .. والتي سبقه في الإشادة بها [illegible] لأفغاني في «العروة الوثقى» [illegible]

[illegible] بدعوة [illegible] الإسلامية من [illegible] بتحديه [illegible] بالإسلام [illegible] عصبية [illegible] بالإسلام [illegible] بالعصبية [illegible] بالإسلام [illegible] بالعصبية [illegible] بالإسلام [illegible] بالع

تجديد الفكر الاسلامى ، وفى الإبداع بمختلف ميادين هذا الفكر ، ليكون لأشواقنا النهضوية «دليل العمل» الذى ينير لطلائع الأمة الطريق . . ولتكون لهذه الأمة الثقافة والآداب والفنون التى تملأ النفس الإسلامية وتغذى الوجدان الإسلامى ، وتروح عنهما ، حتى لا تملأ العولمة فراغنا الثقافى والروحى بقيم الانحلال وثقافة الحداثة اللادينية . . فما لم نملأ فراغنا بثقافة الحلال وفنونها وآدابها ، فإن فراغنا هذا سيمتلىء بثقافة الانحلال . .

فإذا كانت العولمة تعنى سب العالم فى قالب الحضارة الغربية المهيمنة . . اقتصاداً وسياسة وقيماً وثقافة . . فإن العالمية الإسلامية والإنسانية تريد العالم منتدى حضارات ، تتفاعل فيما هو مشترك إنسانى عام ، وتتمايز فى الهويات الحضارية والخصوصيات الثقافية . . لتتدافع الأمم وتتسابق وتتعارف ، بدلا من الصراع والهيمنة والقهر والاستغلال . .

ولما كان البدء - عادة . . ودائما - هو للكلمة . . فعسى أن تكون هذه الكلمات قبسا مضيئا على درب أمة الإسلام فى مواجهة ماتواجه من ابتلاءات وتحديات . . وصدق الله العظيم ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب ﴾ البقرة: ٢١٤ . . ﴿ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين (١٣٨) ولا تهنوا ولا تحزنوا

وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين (١٣٩) إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين (١٤٠) وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين (١٤١) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ آل عمران ١٣٩ - ١٤٢ .. ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما ﴾ النساء : ١٠٤ ..

إن التقدم ، وكذلك تداول الأمم للنهوض وللتراجع ، ليس حقا صاعدا باستمرار ، ولا هابطا دائما وأبدا .. وإنما هناك السنن التي تحكم دورات الصعود والهبوط فيه .. وصدق رسول الله ، ﷺ ، عندما قال : «لا يلبث الجور بعدي إلا قليلا حتى يطلع ، فكلما طلع من الجور شيء ذهب من العدل مثله ، حتى يولد في الجور من لا يعرف غيره ، ثم يأتي الله تبارك وتعالى بالعدل ، فكلما جاء من العدل شيء ذهب من الجور مثله ، حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره» رواه الإمام أحمد ..

وصدق الله العظيم ﴿ ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ يوسف : ٨٧ .. والله من وراء القصد .. منه نستمد العون والتوفيق ..

الفهـــرس

	الصفحة
تحرير مضامين المصطلحات	٣
مفهوم العالمية	٣
ومفهوم العولمة	١٠
أبعاد العولمة وميادينها:	١٤
فى الاقتصاد	١٤
والعولمة السياسية	١٩
والعولمة التشريعية	٣٠
والعولمة العسكرية	٣١
وعولمة القيم الغربية	٣٢
وعولمة الثقافة الحضارية	٣٢
والعولمة اللغوية	٤٠
والعولمة الدينية	٤٠
والآن ما العمل؟	٤٣

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..

فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامي للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر :

- د . محمد عمارة
- المستشار طارق البشري
- د . حسن الشافعي
- د . محمد سليم العوا
- ا . فهمي هويدي
- د . يوسف القرضاوي
- د . سيد دسوقي
- د . كمال الدين إمام
- د . عبدالوهاب المسيري
- د . شريف عبدالعظيم
- د . عادل حسين
- د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين..

إنه مشروع طموح، لإنارة العقل بأنوار الإسلام.

الناشر

نهضة مصر